١٠ - فى الحديث المحمدى

للأستاذ محمود أبو رية

كعب الأحبار وعمر :

لما قدم كعب الأحبار إلى المدينة فى عهد عمر بن الخطاب مظهراً إسلامه أخذ يعمل فى دهاء ومكر لما أسلم من أجله، وكان مما وجه إليه همه أن يفترى الكذب على النبى صلوات الله عليه ولكن عمر فطن لكيده فنهاه عن الرواية عن النبى وتوعده أن يلحقه بأرض القردة

وعلى أن عمر قد ظل يرقب هذا الداهية بحزمه وحكمته وينفذ إلى أغراضه الخبيثة بنور بصيرته كما سترى فى قصة الصخرة فإن شدة دهاء هذا الرجل اليهودى قد تغلبت على فطنة عمر ويقظته فظل يعمل بكيده فى السر والعلن إلى أن قتل عمر، ومن ثم انفجر بركانه بالخرافات والأساطير التى لم يسلم منها كتاب فى التفسير والحديث والتاريخ

قصة الصخرة

لما افتتحت إيلياء وأرضها فى عهد عمر فى سنة ١٦ هـ ودخل عمر بيت المقدس وجد على الصخرة زبالة عظيمة كان النصارى من الروم قد ألقتها عليها معاندة لليهود الذين يعظمون الصخرة ويصلون إليها، فأخذ عمر ومن معه فى تنظيفها، وبينما هم فى عملهم إذ سمع عمر تكبيراً من خلفه فقال ما هذا ؟ فقالوا : كبر كعب وكبر الناس بتكبيره ! فقال على به. فأتى به، فقال يا أمير المؤمنين إنه قد تنبأ على ما صنعت اليوم نبى منذ خمسمائة سنة ! ! قال وكيف ؟ قال : إن الروم أغاروا على بنى إسرائيل فأديلوا عليهم فدفنوه ... إلى أن وليت — فبعث الله نبيا على الكنانة فقال أبشرى أو يرى شلم عليك الفاروق ينفيك مما فيك (١)

ولما فرغوا من تنظيف الصخرة قال عمر لكعب : أين ترى أن أبنى مصلى المسلمين ؟ فقال : ابنه خلف الصخرة — أى أن تكون الصخرة قبلة — فقال له عمر: ضاهيت والله اليهودية يا كعب. وفى رواية أخرى، خالطتك يهودية يا ابن اليهودية وقد رأيتك وخلقك نعليك ! ! أبنيه فى صدر المسجد . فبناه فى قبلى المسجد — وهو الذى يسميه كثير من العامة اليوم الأقصى، والأقصى اسم المسجد كله

وظلت الصخرة مكشوفة فى خلافة عمر وعثمان وعلى ثم كذلك فى إمارة معاوية وابنه وحفيده . فلما كان زمن عبد الملك ابن مروان بنيت القبة على الصخرة . وقد تم بناؤها وعمارة المسجد الأقصى فى سنة ٧٣ هجرية وكان السبب فى ذلك على ما رواه صاحب (مرآة الزمان) : أن عبدالله بن الزبير كان قد استولى على مكة وكان يخطب فى أيام عرفة ومقام الناس بمكة وينال من عبد الملك ويذكر مساوئ بنى مروان ويقول : إن النبى لعن الحكم وما نسل منه وأنه طريد رسول الله ولعينه.. وكان يدعو الناس إلى نفسه وبلغ ذلك عبد الملك فمنع الناس من الحج فضجوا فبنى القبة على الصخرة والجامع الأقصى ليشغلهم بذلك عن الحج ويستعطف قلوبهم.. وكانوا يقفون عند الصخرة ويطوفون حولها كما يطوفون حول الكعبة وينحرون يوم العيد ويحلقون رؤوسهم

يهود اليمن عن هذا البلد الإسلامى إلى إسرائيل فلتلتفت إلى وضعية يهود اليمن فى إسرائيل وما خلقوه لأنفسهم والدولة اليهودية من متاعب أصبحت تؤلف مشكلة داخلية من النوع العويص . ولا ريب أن هذه التدابير البعيدة المدى التى اتخذتها القيادة الصهيونية العليا لنقل يهود اليمن إلى إسرائيل تتوخى أهدافا سياسية واقتصادية معينة سنحاول أن نتعرف على دخائلها من سميم المصادر اليهودية والأجنبية المتوفرة لدينا

نيويورك — الكلام صلة — عمر هايم

(١) ارجع إلى الجزء الرابع من تاريخ الطبرى لتجد من خرافات كعب الأحبار وأساطيره

وذكر ابن تيمية فى اقتضاء الصراط المستقيم غير ذلك ، أن عبد الملك بن مروان قد جعل عليها من الكسوة فى الشتاء والصيف ليكثر قصد الناس للبيت المقدس فيشتغلوا بذلك عن قصد ابن الزبير — والناس على دين الملوك — وظهر من ذلك الوقت من تعظيم الصخرة وبيت المقدس مالم يكن المسلمون يعرفونه، وصار بعض الناس ينقل الإسرائيليات فى تعظيمها حتى روى بعضهم أن كعب الأحبار قال : إن الله قال للصخرة أنت عرشى الأدنى . وقد صنف طائفة من الناس مصنفات فى فضائل بيت المقدس وغيره من البقاع التى بالشام وذكروا فيها من الآثار المنقولة عن أهل الكتاب وممن أخذ عنهم مالا يحل للمسلمين أن يبنوا عليه دينهم .. وأمثل من ينقل عنه تلك الإسرائيليات كعب الأحبار. وكان الشاميون قد أخذوا عنه كثيراً من الإسرائيليات

ومما قاله كعب فى الصخرة كذلك : أن الله قد نظر إلى الأرض فقال : إنى واطئ على بعضك فاستقبلت له الجبال وتضعضعت الصخرة فشكر لها ذلك فوضع عليها قدمه

قتل عمر وبر كعب فيه :

مما لا ريب فيه أن قتل عمر كان بمؤامرة اشترك فيها هذا الدهى وجماعة معه منهم الهرمزان ملك الخورستان وكان قد جئ به إلى المدينة أسيرا فى عهد عمر

ذكر المسور بن مخرمة (٢) أن عمر لما انصرف إلى منزله بعد أن أوعده أبو لؤلؤة جاءه كعب الأحبار فقال يا أمير المؤمنين (إعهد) فإنك ميت فى ثلاث ليال (رواية الطبرى فى ثلاثة أيام) قال ، وما يدريك ؟ قال : أجده فى كتاب التوراة ! قال عمر : أتجد عمر بن الخطاب فى التوراة ! قال اللهم لا ولكن أجد حليتك وصفتك وإنك قد فنى أجلك ! قال ذلك وعمر لا يحس وجعا . فلما كان الغد جاءه كعب فقال : بقى يومان ! فلما كان الغد جاءه كعب فقال : مضى يومان وبقى يوم (ورواية الطبرى — وبقى يوم وليلة وهى لك إلى صبيحتها ، فلما أصبح خرج عمر إلى الصلاة ودخل أبو لؤلؤة فى الناس وبيده خنجر فضرب عمر ست ضربات إحداهن تحت سرته وهى التى قتلته

وأتى كعب عمر بعد أن ضرب فقال له : ألم أقل لك إنك لا تموت إلا شهيدا وإنك تقول متى أين وأنا فى جزيرة العرب ؟ وفى رواية أنه قال له قبل هذه العبارة . الحق من ربك فلا تكونن من الممترين

وعن شداد بن أوس عن كعب (٣) قال : كان فى بنى إسرائيل ملك إذا ذكرناه ذكرنا عمر، وإذا ذكرنا عمر ذكرناه، وكان إلى جنبه نبى يوحى إليه فأوحى الله إلى النبى أن يقول له أعهد عهدك واكتب إلى وصيتك فإنك ميت إلى ثلاثة أيام . فأخبره النبى بذلك، فلما كان اليوم الثالث وقع بين الجدار والسرير ثم جاء إلى ربه فقال : اللهم إن كنت تعلم أنى كنت أعدل فى الحكم وكنت وكنت فزد فى عمرى حتى يكبر طفلى وتربو أمتى، فأوحى الله إلى النبى : قد زدته فى عمره خمس عشرة سنة، فلما طعن عمر قال كعب : لئن سأل عمر ربه ليبقينه الله. فأخبر بذلك عمر فقال : اللهم اقبضنى إليك غير عاجز ولا ملوم اه ملخصا

ولم يكن قتل عمر على يدى أبى لؤلؤة إلا تنفيذا لتلك المؤامرة التى دبرها الهرمزان لما كان يكنه من الحقد والموجدة للعرب بعد أن نالوا عرش الفرس ومزقوا دولتهم وأعانه عليها كعب لأن عمر هو الذى أجلى اليهود عن جزيرة العرب . ومما يتلخ عرق الشك من أن كعبا كان له يد فى مقتل عمر والتآمر به ما أخرجه الخطيب عن مالك أن عمر دخل على أم كلثوم بنت على (وهى زوجته) فوجدها تبكى فقال ما يبكيك ؟ قالت هذا اليهودى — أى كعب يقول إنك باب من أبواب جهنم . فقال عمر ما شاء الله ! ثم خرج فأرسل إلى كعب فجاءه فقال يا أمير المؤمنين والذى نفسى بيده لا يتسلخ ذو الحجة حتى تدخل الجنة ، فقال ما هذا ؟ مرة فى الجنة ومرة فى النار ! قال: إنا لنجدك فى كتاب الله على باب من أبواب جهنم تمنع الناس أن يقتحموا فيها فإذا مت اقتحموا !

(٢) ص ٢٤ ج ٣ تاريخ ابن الأثير

(٣) ص ٩٨ تاريخ الخلفاء

وقد رث بعيته لعنه الله فقد قتل عمر فى ذى الحجة سنة ٢٣هـ

هل تجوز رواية الإسرائيليات :

جاءت الشريعة الإسلامية فنسخت ما قبلها من الشرائع ، وبين القرآن أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى قد بدلوا من كتاب الله وكتبوا بأيديهم كتبا زعموا أنها من عند الله ليشتروا بها ثمنا قليلا، ومن أجل ذلك نهى رسول الله صلوات الله عليه عن أن يأخذ المسلمون عن أهل الكتاب شيئا، وكان يغضب أشد الغضب إذا رأى أحدا نقل عنهم أو استمع إليهم ، فروى أحمد عن جابر بن عبدالله أن عمر بن الخطاب أتى النبى بكتاب أصابه عن بعض أهل الكتاب فقرأه على النبى فغضب وقال : أمهوكون فيها يا ابن الخطاب ؟ والذى نفسى بيده لو أن موسى كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعنى

ولقد كان صلوات الله عليه يقول لأصحابه « لا تصدقوهم ولا تكذبوهم» إذ قد يكون فى قولهم الكذب مما بدلوه فتصديقه يضر .. وقد يكون فى قولهم الصحيح الذى لم يبدلوه فتكذيبه يضر كذلك. وهذا قول حكيم. ونحن نورد هنا بعض ما روى عن النبى (ص) فى ذلك : روى البخارى عن أبى هريرة « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون . وروى أحمد من أبى نملة الأنصارى عن أبيه قال إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فإن كان حقا لم تكذبوهم وإن كان باطلا لم تصدقوهم — وروى البخارى عن ابن عباس أنه قال : كيف تسألون أهل الكتاب عن شئ وكتابكم الذى أنزل الله على رسوله أحدث الكتب تقرأونه محضا لم يشب ، وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا؟ ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم! لا والله ما رأينا منهم رجلا يسألكم عن الذى أنزل إليكم »

هذا بعض ما روى عن النبى (ص) فى النهى عن رواية الإسرائيليات وهو الحق الذى يتفق مع مبادئ الإسلام الصحيحة وتفكير العقول السليمة ، ولكن ما لبث الأمر بعد أن اغتر المسلمون بمن أسلم من أحبار اليهود خدعة إلا أن ظهرت أحاديث رفعت إلى النبى تناقض نهيه الأول وتبيح الرواية عن بنى إسرائيل إباحة مطلقة

فقد روى أبو هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله قال : حدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج .. ومعلوم أن أبا هريرة وعبد الله بن عمرو كانا من الذين تلقوا عن كعب، وأن ابن عمرو هذا كان قد أصاب يوم اليرموك زاملتين من علوم أهل الكتاب فكان يحدث منهما بأشياء كثيرة من الإسرائيليات قال فيها الحافظ ابن كثير : منها المعروف والمشهور والمنكور والمردود . وسنحدث إن شاء الله عن ابن عمرو وزاملتيه وقيمتهما

رواية بعض الصحابة عمن اشتهروا بالرواية عن اليهود :

ولقد كان من أثر ذلك أن بعض الصحابة روى عن أحبار اليهود وقد نص رجال الحديث فى كتبهم فى باب رواية الأكابر عن الأصاغر أو رواية الصحابة عن التابعين : أن المبادلة وأبا هريرة ومعاوية وأنس وغيرهم قد رووا عن كعب الأحبار وأخذوا عنه — وكان أبو هريرة أكثر الصحابة وثوقا بهم وأخذا عنهم وانقيادا لهم كما يتبين لك من تاريخه الذى سيقابلك إن شاء الله . وقد استطاع هذا اليهودى كما دعته السيدة الجليلة أم كلثوم بوسائله الشيطانية أن يدس من الخرافات والأوهام والأساطير فى الدين ما امتلأت به الكتب وكانت شبها على الإسلام يحتج بها عليه أعداؤه ، ويضيق بها ذرعا أولياؤه

ومما يدلك على أن الصحابة كانوا يرجعون إليه فيما لا يعرفون ما رواه عبد الرازق وابن المنذر عن ابن عباس قال : أربع آيات من كتاب الله لم أدر ما هى حتى سألت عنها كعب الأحبار وذكر منها آية (وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب) وكان جواب كعب عن ذلك : أن الشيطان أخذ خاتم سليمان الذى فيه ملكه فقذف به فى البحر فوقع فى بطن سمكة ثم وقعت هذه

السمكة فى يد سليمان فاشتواها وأكلها فإذا فيها خاتمه فرجع إليه ملكه !

وفى تفسير الطبرى أن ابن عباس سأل كعبا عن سدرة المنتهى فقال إنها على رؤوس حملة العرش وإليها ينتهى علم الخلائق ثم ليس لأحد وراءها علم ولذلك سميت سدرة المنتهى لانتهاء العلم إليها

وفى حديث أبى هريرة — هى شجرة يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن وأنهار من خمر وأنهار من عسل وهى شجرة يسير الراكب فى ظلها سبعين عاما لا يقطعها والورقة منها تغطى الأمة كلها . ولا نستكثر من الأمثال فهى لا تعد

على أن كثرة رواياته الباطلة قد أوحيت أن يشك فى روايته بعض الصحابة حتى قال فيه معاوية وهو أحد تلاميذه « إنه من أصدق هؤلاء المحدثين عن أهل الكتاب وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب» رواه البخارى وغيره

البر اليهودية فى تفضيل الشام :

ذكرنا لك من قبل أن إشارة كهان اليهود إلى أن ملك النبى سيكون فى الشام إنما هو لأمر خبئ فى أنفسهم.. ونبين هنا أن الشام ما كان لينال من الإشادة بذكره والثناء عليه إلا لقيام دولة بنى أمية فيه ، تلك الدولة التى قلبت نظام الخلافة إلى ملك عضوض ، وتحت كنفها نشأت الفرق الإسلامية التى فتت فى عضد الدولة ومزقتها تمزيقا . . فكان جديرا بكهنة اليهود أن ينفخوا فى نار الفتنة ويهيئوا لها وقودها. وكان من هذا الوقود أن يبالغوا فى مدح الشام وأهله. وأن الخير كله فيه والشر فى غيره

لم يكتف هؤلاء الكهان بما قالوه فى الشام وفى أهله وما صنفوه من كتب فى فضائل بلاده، وأن الأبدال سيظهرون به، بل زادوا على ذلك أن جعلوا الطائفة الظاهرة على الحق إنما تكون بالشام كذلك .. وحتى نزول عيسى سيكون به .. فقد روى الشيخان : لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله وهم كذلك — وفى البخارى — هم بالشام ! وعن مسلم عن أبى هريرة أن النبى قال لا يزال أهل الغرب ظاهرين حتى تقوم الساعة — قال أحمد وغيره هم أهل الشام ! وفى كشف الخفاء أن كعب الأحبار قال : أهل الشام سيف من سيوف الله ينتقم الله بهم من العصاة . وأهل العصاة هم الذين جاءوا من المدينة والكوفة وغيرها بقيادة أمير العصاة على !!

ومن أحاديث الجامع الصغير للسيوطى التى أشرنا عليها بالصحة : الشام صفوة الله من بلاده إليها يجتبى صفوته من عباده ، فمن خرج من الشام إلى غيرها فبسخطه ، ومن دخلها فبرحمته . طوبى للشام إن الرحمن لباسط رحمته عليه . ليبعثن الله من مدينة بالشام يقال لها حمص سبعين ألفا يوم القيامة لا حساب عليهم ولا عذاب، مبعثهم فيما بين الزيتونة والحائط

ومدينة حمص هذه يجب أن يكون لها هذا الشأن العظيم حتى فى الآخرة لأن سيدنا كعب الأحبار قد اتخذها مقاما له . ثم مات فيها ، ولا نطيل بإيراد كل ما قيل فى فضل الشام وأهله لأنه يملأ مصنفات

المنصورة — للكلام صلة — محمود أبو ريه

مطبوعات المجمع العراقى

تاريخ العرب قبل الاسلام

أوسع كتاب فى تاريخ العرب قبل الإسلام

جمع من الكتابات العربية الجاهلية ومن النصوص الكلاسية والتوراة والتلمود

تأليف الدكتور

جواد على

طبع عام ١٩٥١